الاستخدامات التكنولوجية عند الطفل وانعكاساتها الثقافية: رؤية بحثية

لولي حسيبة

– المعهد الوطني للتكوين العالي لإطارات الشباب، تيقصراين، الجزائر.

ملخص

إن الإقبال المتزايد على استخدام التكنولوجيا بوسائطها وتقنياتها عند الأطفال، وجعلها كأداة تعليمية وترفيهية واتصالية أدى إلى ضرورة البحث عن انعكاساتها وآثارها على هذه الفئة الاجتماعية، سواء من الناحية الصحية والسلوكية والانفعالية وكذا آثارها القيمية والثقافية بشكل عام.

تسعى هذه الدراسة الأكاديمية إذن إلى البحث في هذا الموضوع من خلال تقديم جملة من القراءات النظرية التي تفسر طبيعة الممارسات التكنولوجية التي يعرفها الأطفال، وكذا نوعية استخداماتهم لهذه التقنيات والوسائط التكنولوجية، وبالتالي الوصول إلى أهم العناصر التي تشكل ثقافتهم.

يأتي هذا كمحاولة للبحث عن أهم الاستخدامات التكنولوجية التي تعرفها فئة الأطفال وكذا الوقوف عند طبيعة انعكاساتها على ثقافتهم.

– الكلمات المفتاحية: الطفل، ثقافة الطفل، الاستخدامات التكنولوجية، الانعكاسات الثقافية.

Technological uses of the child and their cultural implications: Research vision

Abstract

The children's use of technology, with its media and techniques, as an educational, recreational and communication tool continues to escalate. Consequently, it led to the necessity of studying the repercussions and effects it has on this social group, in terms of health, behavior and emotions, as well as its value and cultural impact in general.

This academic study seeks to examine the issue by presenting a set of theoretical readings that explain the nature of the technological practices known to children. Furthermore, it explores the manner of their use of these techniques and technological media, and thus reach the most important elements that shape their culture.

Overall, this study is an attempt to search for the most important technological uses known to children and highlighting their influence and impact on their culture.

Keywords : children, child culture, technological uses.

مقدمة

تشكل الاستخدامات التكنولوجية سبيلا للاطلاع على عالم الأطفال، خاصة وأن إقبالهم على استخدامها يعد تعبيرا لما يدور في عالمهم، وهم بذلك يتلقون قيما وأنماطا سلوكية مختلفة تأتيهم من كل نافذة. هذا وإن هذه الوسائل أصبحت تشارك الأسرة والمدرسة في تشكيل مرجعية الأطفال. الفئة التي رغم كونها تمثل مرحلة عمرية عابرة، إلا انها تعتبر النواة الأساسية لهوية رجل الغد.

تعد الخبرات التي يمر بها الطفل أساسية في تكوين سلوكياته وتحديد شخصيته، وبالتالي تشكيل نسق ثقافته، وذلك من خلال ما يتلقاه في وسطه الاجتماعي والتكنولوجي. والذي تترجمه جملة من الاستخدامات والممارسات اليومية في ظل وجود التكنولوجية في حياته. وهو ما جعلها تفوق وسائل التنشئة الاجتماعية الأخرى في تجسيد التراث الثقافي من قيم واتجاهات وأنماط السلوك، وذلك من خلال الاقبال المستمر واليومي، ولساعات

طويلة، على هذه الوسائل التكنولوجية وفي ظل قلة الرقابة والمرافقة الأسرية. هذا وإن تحصين الطفل في ضوء ما يتلقاه بات ضروريا خاصة بعدما أصبح يتفاعل مع ثقافات جديدة تحملها وسائط تكنولوجية، غالبا ما تكون لها جاذبية نظرا لما تعتمد عليه من تقنيات فائقة الجودة من حيث الصوت والصورة.

وسعيا لدراسة هذه الاستخدامات والممارسات التي يعرفها الأطفال في ظل التغيرات الاجتماعية والثورة التكنولوجية نطرح السؤال التالي: **ما هي أهم الاستخدامات التكنولوجية التي تعرفها فئة الأطفال؟ وفيما تكمن انعكاساتها الثقافية؟**

وللإجابة عن هذه التساؤلات والتنويه إلى البحث فيها، يحاول هذا المقال تحديد أهم الاستخدامات التكنولوجية التي تعرفها فئة الأطفال والوقوف أمام انعكاساتها عليهم، وهو ما تفسره جملة من الآليات التي تعتمدها هذه الممارسة التكنولوجية.

إن مثل هذه القراءة تعتبر إثراء للحقل المعرفي التربوي الذي يساعد، أولا على فهم ثقافة الطفل التي لا يخلو بناؤها من العوالم الافتراضية، وثانيا الوصول إلى أنجح أساليب التوجيه.

1. الطفل والطفولة

يشير مفهوم الطفل إلى كل إنسان دون سن الرشد، إلا أن بدايته كمرحلة عمرية يختلف فيها الباحثون، منهم من يراها قبل الميلاد (مرحلة الجنين) ومنهم من يبدأها عند الميلاد. بين هذا وذاك فإن هذا المفهوم يرتكز تحديده وفق مرحلة النمو ألا وهي الطفولة، متضمنا عند بعضهم مرحلة المراهقة.

حسب القانون الدولي فإن الطفل هو كل إنسان لم يتجاوز سن الثامنة عشر، وهو نفسه التعريف الذي نص عليه الميثاق الإفريقي (مصطفى فهمي،2007، ص 13)، كونها تمثل المرحلة التي تسبق مرحلة الاعتماد على النفس، فهي تعبر "**بالفرد من مرحلة العجز والاعتماد على الآخرين بدءا بأولياء الأمور إلى مرحلة الاعتماد على النفس تبعا لقدراته واستعداداته وتنشئته الاجتماعية. وهذا يعني أن الطفولة تختلف وتتباين من جيل إلى جيل ومن ثقافة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر وذلك طبقا لمتطلبات بيئة الفرد**"(قطامي وبرهوم، 1989، ص 17).

لقد عرفت مرحلة الطفولة اهتماما من قبل العلماء والباحثين في مختلف المجالات وعبر التاريخ وإن زاد الاهتمام بدراسة الطفل والطفولة في عصرنا الحاضر لأهميتها، باعتبارها المرحلة التي تتميز بخصائص وحاجات بيولوجية ونفسية واجتماعية، أين يعد إشباعها ضروريا لبقائها ونموها نموا متكاملا. وإن الذي يزيد في هذه الأهمية هو كونها الفئة الاجتماعية التي ولدت وترعرعت في ظل التكنولوجية ذات الأبواب المفتوحة على العالم ككل، مما يجعل تأثرها بالثقافات الأخرى كبيرا.

تشكل الطفولة مرحلة نمو ذات أهمية بالغة لذاتها ولما بعدها، لأن ما يتلقاه الطفل من خبرات وما يكتسبه من مهارات لها أثر بالغ في تكوين شخصيته من جوانبها المتعددة. إن هذا الاكتساب يعد نتاجا لعملية التفاعل التي تتم بينه وبين بيئته الاجتماعية من خلال عملية التنشئة الاجتماعية. العملية التي على ضوئها " **تتحدد إطار شخصيته فإذا كانت تلك الخبرات صحيحة وسوية وسارة فإن الطفل ينشأ سويا متكيفا مع نفسه ومع المجتمع الذي يحيط به وإن كانت خبرات الطفولة مؤلمة مريرة ترك ذلك آثارا سلبية في شخصيته**" (احمد غراب، 2014، ص 214) ونموه ككل وبالتالي العيش في مشكلات نفسية.

إن الطفولة مثلها مثل المراحل العمرية الأخرى لها خصائص تميزها عن الأخرى، تفسرها جملة من الممارسات والسلوكيات. "**فالطفولة هي مرحلة نمو يتصف بها الأطفال بخصائص وعادات وتقاليد وميول وأوجه نشاط أو أنماط سلوك أخرى متميزة**"(الهيتي، 1988، ص 31)، مما يؤكد وجود ثقافة الأطفال.

2. ثقافة الأطفال

الثقافة هي إحدى المفاهيم الأساسية لعلم الاجتماع عامة والأنثروبولوجيا خاصة، وإذا كان لهذا المفهوم تعريفات مختلفة، باختلاف مجالات استعمالها، فإن أشهرها يعود للأنثروبولوجي البريطاني إدوارد بيرنت تايلور Edward Burnett Taylor، معرفا إياها "**ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات، والفنون، والقانون، والأخلاق، والعادات، والعرف، وكافة القدرات والأشياء الأخرى التي تؤدى من جانب الانسان باعتباره عضوا في المجتمع**" (عباس ابراهيم ، 2001، ص 84) فهي

المجتمع وما يحتويه من نظم وعادات وتقاليد وتاريخ ولغة ودين وسلوك وقيم و...إلخ يتلقاها الفرد باستمرار في حياته من خلال عملية التنشئة الاجتماعية.

هذا وإن داخل هذه الثقافة يوجد ما هو عام يشترك فيه جميع أفراد المجتمع ككل، ما يسمى بالعموميات الثقافية أو "**الثقافة الأم**" كاللغة والدين والتاريخ والقيم الاجتماعية، ومنها ما يشترك فيها فئات اجتماعية مختلفة من المجتمع سواء كانت طبقات اجتماعية (غنية – فقيرة) أو جماعات مهنية متخصصة (معلمون – أطباء) أو الفئات العمرية (الأطفال – الشباب)، وهي ما يسمى بالخصوصيات الثقافية أو الثقافات الفرعية.

نشير أن الثقافة الفرعية قد ظهر كمفهوم، أنثروبولوجي، لأول مرة في مجال العلوم الاجتماعية من طرف الباحث فردريك **تراشر** Fréderic Trasher لما قام بدراسة مجموعة عصابات بمدينة شيكاغو الأمريكية عام 1927م، وفيها توصل أن هذه الجماعات الجانحة تتميز بعادات وقيم مشتركة نتيجة تأثر أفرادها بالبيئة التي نشأت فيها، والتي جعلتهم أفرادا منعزلين بل ومنفصلين عن الوسط الاجتماعي السوي. [11] وهو ما يفسر وجود لديهم ثقافة تميزهم عن باقي الفئات الاجتماعية تسمى بالثقافة الفرعية، وهي تدل حسب **داونز Downes** على أنها "**مجموعة من القيم ومعايير السلوك وأنماطه ذات رموز لها دلالتها لعدد من الفاعلين يقوم بينهم تفاعل فعال وتواجههم مشكلات توافقية مشتركة، ولا يجدون حلا فعالا لما يصادفهم من مشكلات مشتركة**"(عبد العاطي السيد ، 1990، ص 124).

وحسب كوهن فهي "**نمط من المعيشة يختلف عن الثقافة الكلية، أو بمعنى آخر هي نمط من السلوك تتميز به الجماعات الخاصة التي تعيش داخل المجتمع الأكبر، وقد يختلف سلوك أفراد تلك الجماعات عن سلوك أفراد المجتمع الكلي، ولكن في نفس الوقت تتضمن ثقافتهم الفرعية على عناصر تشترك فيها مع الثقافة الكلية، كما تحتفظ لنفسها بعناصر أخرى تميزها عن غيرها من الثقافات**"(عباس ابراهيم ، 2001، ص ص 117-118).

نستنتج مما سبق أن هناك ثقافات متعددة في إطار الثقافة الكلية، ينعكس مضمونها في جملة من الخصائص الثقافية والأنماط السلوكية التي تتميز بها فئة أو جماعة أو طبقة

اجتماعية معينة في إطار المجتمع الكلي، مما يجعل سلوك أفراد هذه الجماعات مختلفا عن سلوك باقي أفراد المجتمع الكلي، إلا أنه في نفس الوقت تشترك هذه الجماعات فيما يسمى بالعموميات الثقافية، كما هو شأن ثقافة الأطفال.

ثقافة الأطفال هي إذن إحدى الثقافات الفرعية التي ينعكس مضمونها في جملة من الخصائص الثقافية والأنماط السلوكية التي تتميز بها فئة أو جماعة أو طبقة اجتماعية معينة في إطار المجتمع الكلي، مما يجعل سلوك أفراد هذه الجماعات مختلفا عن سلوك باقي أفراد المجتمع الكلي، إلا أنه في نفس الوقت تشترك هذه الجماعات فيما يسمى بالعموميات الثقافية.

إن المقصود بثقافة الأطفال هو أسلوب الحياة تتميز به جماعة الأطفال في مجتمع معين وهو ما يدل أنها تحدد وفق "**الطريقة التي يرى بها الأطفال أنفسهم والعالم المحيط بهم من أشخاص وأشياء وظاهرات وعلاقات، وبالتالي فإن اسلوب الحياة السائدة في جماعة الأطفال يحدده وبدرجة كبيرة ما يدركه الأطفال ويشعرون به في الوسط المحيط بهم**"(محمد عبد الرازق وآخرون، 2004، ص 79).

نلاحظ أن ثقافة الأطفال هي ثقافة مكتسبة من الأسلوب الحياتي السائد في الجماعة التي يعيشون فيها، وهي نتاج تفاعل الصغار (الأطفال) مع الكبار أثناء عملية التنشئة الاجتماعية في أوساطهم الاجتماعية، ذلك أن الطفل يتشرب ثقافة الجماعة من خلال عملية التطبيع الاجتماعي داخل الأسرة، المدرسة، المسجد، جماعة الأقران ووسائل الاتصال الجمعي. أين يكون الطفل معتمدا أساسا على الكبار، نظرا لضعف قدراته وامكاناته. "**والواقع أن اعتمادية الطفل على الكبار لإشباع حاجاته ولتهيئته للحياة في المجتمع هي الأساس التي يقوم عليه عمليات التطبيع والتربية والتثقيف، وتلك حقيقة يبرزها بعض علماء النفس على أنها أبرز خواص الطبيعة الإنسانية**"(محمد عبد الرازق وآخرون، 2004، ص80).

تعبر ثقافة الأطفال في مجملها عن مجموعة القيم والاتجاهات والآراء وأنماط السلوك التي تحظى بالموافقة والقبول من تلك الفئة العمرية والاجتماعية. هذا "**وللأطفال في كل مجتمع مفردات لغوية متميزة وعادات وقيم، ومعايير، وطرق خاصة في اللعب، وأساليب خاصة في التعبير عن أنفسهم، وفي إشباع حاجاتهم. ولهم تصرفات،**

ومواقف، واتجاهات، وانفعالات، وقدرات، إضافة إلى مالهم من نتاجات فنية ومادية، وأزياء وما إلى ذلك، أي لهم خصائص ثقافية ينفردون بها، ولهم أسلوب حياة خاصة بهم، وهذا يعني أن لهم ثقافة هي: ثقافة الأطفال"(الهيتي، 1988، ص31).

تتجسد ثقافة الأطفال في وسطهم الاجتماعي بفعل العوامل المحيطة بهؤلاء، أهمها العولمة وما توفره من وسائل الاتصال الحديثة، لتنعكس لدى هؤلاء في أشكال سلوكية ممارسة ومتباينة من خلال طبيعة ألعابهم، وتعليمهم وتواصلهم، والتي تأخذ في مجملها طابعا تكنولوجيا ورقميا. خاصة وأن هناك من المهارات والخبرات يصعب على الأسرة أو الآباء نقلها لأبنائهم، بل يكتسبها هؤلاء من خلال انتمائهم إلى المنظمات غير الرسمية، كجماعة الرفاق الواقعية منها والافتراضية. يأتي هذا ليؤكد أن ثقافة الطفل، مثلها مثل ثقافة الشباب، مكتسبة عن طريق مؤسسات اجتماعية أهمها جماعة الرفاق ووسائل الاتصال الحديثة (الاتصال الرقمي).

إن الانتشار السريع للوسائل التكنولوجية الحديثة أصبح يعتبر قوة وحتمية لا يمكن الوقوف في وجهها والحد منها، فهي التي تشكل الحياة اليومية وثقافة جميع فئات المجتمع بما فيهم الأطفال. لقد أصبح من خصائص هذه الأخيرة، مثلها مثل الشباب، القدرة والتحكم في التقنية الرقمية خاصة وأنها تساعد على التعلم اليوم، وبالتالي فهي تشارك في عملية التنشئة الاجتماعية. هذا وإن غيابها أو عدم امتلاكها لا يمنع الأطفال في استخدامها حيث باستطاعتهم مشاركة الأخرين في ذلك خارج البيت أو في الأماكن العمومية، لكونها مطلب عصري.

3. استخدامات تكنولوجيا الاتصال في وسط الأطفال

يعرف الاستخدام على أنه كل نشاط اجتماعي **"يتحول إلى نشاط عادي في المجتمع بفضل التكرار والقدم، فحينما يصبح الاستعمال متكررا ويندمج في ممارسات وعادات الفرد يمكن حينئذ الحديث عن الاستخدام"**(الدليمي، 2014، ص 123) وهو ما ينطبق فعلا على الوسائل التكنولوجيا الحديثة التي بات استعمالها متكررا لدى جميع فئات المجتمع، بما فيها الأطفال. ذلك لأنهم يعتبرونها من الأدوات التكنولوجية العادية، فهم خلافا عن الكبار قد ولدوا وترعرعوا في أجوائها، لا يمكنهم

الاستغناء عنها في ظل عالم مفتوح أنتجتهالعولمة. والسؤال الذي يُطرح: **فيما يستخدم الأطفال وسائل تكنولوجية الاتصال؟** إن الاجابة عن السؤال وبالرجوع إلى الواقع نجد هذا الاستخدام متمركزا فيما يلي:

1 .3 . الألعاب الالكترونية

هي نوع من الألعاب، ظهرت نتيجة التطور التكنولوجي الذي عرفته صناعة الحواسيب والهواتف النقالة. تعرض على شاشة التلفاز **"ألعاب الفيديو"** أو على شاشة الحاسوب **"ألعاب الحاسوب"** أوفي قاعات الألعاب الالكترونية **"قاعات Playstation"** المجهزة لذلك، ومن خصائصها الجمع بين سرعة الحركة والبصر.

تعرف هذه الألعاب بأنها **"نشاط ينخرط فيه اللاعبون في نزاع مفتعل، محكوم بقواعد معينة، بشكل يؤدي إلى نتائج قابلة للقياس الكمي. ويطلق على لعبة ما بأنها إلكترونية في حال توافرها على هيئة رقمية، ويتم تشغيلها عادة على منصة الحاسوب الإنترنت والتلفاز والفيديو Playstation والهواتف النقالة والأجهزة الكفية لمحمولة (digital palm devices)** " (محمدالزيودي، 2015) فهي إذن ألعاب ذات طابع الكتروني، يمارسها الفرد مستعينا بجهاز إلكتروني كالحاسوب أو هاتف أو لوحة رقمية.

عرفت هذه الألعاب منذ ظهورها تطورات مختلفة، فبعد أن كانت تعتمد على القرص المدمج (CD) أصبحت اليوم تمارس مباشرة بعد أن يتم تنزيلها من أحد مواقع الأنترنت. أغلبها يمتاز بنظام ثلاثي الأبعاد للصورة، مما زاد في تأثير اللاعب أثناء اللعب. هذا وإنه بإمكان ممارستها بشكل فردي، ضد الحاسوب أو بشكل جماعي ضد أشخاص افتراضيين على شبكة الانترنت (حسين الشحروري، 2008 ، ص46).

كما أصبحت اليوم تمتاز بواقع افتراضي أين يعيش اللاعب اللعبة وكأنها في عالم حقيقي.

تعد الألعاب الإلكترونية من أكثر الألعاب شيوعا في هذا العصر، لدى الشباب والأطفال على وجه الخصوص، **"حتى باتوا يفضلونها، واعتادوا ممارستها لتطغى وتفرض نفسها عليهم، ...أصبحت جزءا من نمط حياتهم اليومية"**(محمد الزيودي، 2015، ص15) يأتي هذا لانتشارها الواسع واستحواذها على أكبر وقت في ممارستها.

فلا يكاد يخلو بيت منها، حتى أصبحت لدى بعض الأسر تمثل "**جزءا من غرفة الطفل، بل أصبح الآباء والأمهات يصطحبونها معهم أينما ذهبوا ليزيدوا الأطفال إدمانا على ممارستها، وأصبحت الشغل الشاغل لأطفال اليوم حتى أنها استحوذت على عقولهم واهتماماتهم**"(محمد الزيودي، 2015، ص 16) فقد فاقت شعبية بعض الألعاب والرياضات، على رأسها كرة القدم، مما زاد في كميتها بالأسواق وفي مواقع الانترنت وفي الإبداع فيها بالسلب والإيجاب، وصلت حد القتل عن بعد وهو ما تعرفه اللعبة الالكترونية التي يطلق عليها اسم **لعبة الحوت الأزرق**، والتي راح ضحيتها عدد من الأطفال الجزائريين على غرار البلدان الأخرى على مستوى العالم. اللعبة التي أثارت فضول الأطفال والمراهقين دون غيرهم. إن مثل هذا الاستخدام يفسره ذلك الاقبال الذي يعرفه الأطفال عبر شاشات الحواسيب والهواتف الذكية خاصة بعد انتشارها في المجتمعات.

3. 2 . البحث عن المعلومات

إن استخدام الانترنت في وسط الأطفال لا يتوقف عند اللعب والترفيه ولكنه يُوظف لديهم كذلك في البحث عن المعلومة، نظرا لما يوفره من معارف وما يتميز به من سهولة الحصول عليها. هذا "**ويعتقد العاملون في مجال تكنولوجيا التعليم أن الاستخدام المناسب والملائم للتكنولوجيا يساعد على تحسين أداء الطفل من الناحية الأكاديمية، وزيادة قدراته الاجتماعية باستخدام تقنيات الحواسب التفاعلية مثل تطبيقات الوسائط المتعددة وشبكة الأنترنت، حيث يمكن ان تساعد هذه التقنيات على تحفيز الأطفال على التعلم، ومساعدتهم على إدراك المفاهيم، وبالتالي مساعدتهم على تطوير مهارات حل المشكلات**" (مركز الدراسات الاستراتيجية، 2012).

أدى استخدام شبكة الانترنت في التعليم إلى تطوير سريع في التعليم حيث أصبحت أداة للبحث والتعليم من قبل المدرسين والمتمدرسين. لم يعد المدرس وحده محور المعرفة أو مصدر للمعلومات بل أصبح يلعب "**دور المرشد والوسيط في بناء عمليات تعلم التلاميذ التي أصبحت تتقوى بوجود هذه التقنيات الجديدة**" وذلك من خلال إنجاز

المشاريع التي تُطلب من التلاميذ في مختلف المستويات، أو العمل في إطار مجموعات إلى جانب الواجبات اليومية.

لقد سهلت الأنترنت المجال أمام الباحثين بما فيهم الأطفال لاستدعاء ما يحتاجون إليه من معلومات في مختلف المجالات علمية أو أدبية، تاريخية، ثقافية...إلخ من خلال انجاز بحوثهم الفردية أو الجماعية، وكذا في التمعن في فهم الدروس ومراجعتها.

إلا أن إيجابية البحث عن المعلومة كثير ما يتوقف على توجيهات الآباء للأبناء وترشيدهم وكذا الاشراف عليهم خلال استخدامهم المعرفي لهذه الوسائل التكنولوجية حتى لا يقعوا فيما يسيء تحصيلهم المعرفي، كالوقوع في الغش الالكتروني أو نقل المعلومة دون حتى قراءتها والتمعن في فهمها والعمل بما يسمى copier/coller. وهو ما يدل أن الاشكال يكمن في طريقة التعامل مع الشبكة وليس في الشبكة ذاتها.

3. 3 . الاتصال الافتراضي

إن إقبال الأطفال والشباب على الأنترنت مرده كذلك البحث عن فرص التعبير عن آرائهم والإفصاح عن اهتماماتهم، رغباتهم وميولهم. فهي جزء من مطالب حياتهم اليومية وضرورات الحياة المعاصرة، ويعتبرونها من الأدوات التكنولوجية العادية لأنهم، خلافا عن الكبار، قد ولدوا وترعرعوا في أجوائها. وذلك لكونها مطلب عصري وتساعد على البحث المعرفي وتساعد كذلك على التواصل مع الآخرين، وعلى الترفيه. "**فلم تعد الأنترنت مصدرا فقط للمعلومات المجردة، بل أضحت ساحة للتفاعلات والتجاذبات بين القيم الموجودة في المجتمع والقيم الجديدة التي ظهرت نتيجة لظهور أشكال ومنافذ جديدة للتواصل بين الشباب على شبكة الأنترنت لم تكن متاحة من قبل، ومنها المجموعات الحوارية والمدونات والشبكات الاجتماعية المختلفة كشبكة <<الفيس بوك>>**"(المبروكي المنجي، 2011) للتواصل الاجتماعي، من أهم خصائصه مجانية وسهولة الاستخدام وكذا امتلاكه لذاكرة تذكر بالمناسبات والمستجدات. إنه الموقع الاجتماعي الأكثر استعمالا لدى الأطفال والشباب لأنه يمكنهم من تبادل المعلومات مع الأصدقاء كتابيا وشفويا، باعتباره أداة تكنولوجية إعلامية سمعية وبصرية.

هذا ونشير أن هذه المواقع أصبحت من رواد مختلف الفئات العمرية وهو ما يبينه تقرير*"قمة رواد مواقع التواصل الاجتماعي العرب"، أين وردت نتائج دراسة لعينة شملت 7000 مستخدم (تتجاوز أعمارهم 15 عاما) يتوزعون بالتساوي بين الجنسين على 18 دولة عربية وموزعة ما بين دول مجلس التعاون الخليجي واليمن ودول من بلاد الشام والعراق ودول من شمال افريقيا من بينها الجزائر. دراسة جاءت بهدف قياس انطباعات وسلوك مستخدمي هذه المواقع في العالم العربي، وتقديم وصف لعاداتهم في استخدامها، الى جانب تسليط الضوء على آثار وسائل التواصل الاجتماعي على المجتمع والاقتصاد وممارسة الأعمال . تبين خلال هذه الدراسة أن الفيس بوك وواتس آب المنصتان الأكثر استخداما في جميع دول العالم العربي بنسبة تفوق 80% وفي الجزائر بنسبة تفوق 90%، تبين في هذا التقرير كذلك أن أكثر من نصف المستخدمين في العالم العربي لوسائل التواصل الاجتماعي جاء للتواصل مع الناس بشكل أساسي 55%، في حين جاء الحصول على المعلومات، ومشاهدة مقاطع الفيديو، والاستماع إلى الموسيقى ومشاركة الصور، كثاني أهم سبب لاستخدامها 12%. وتعتبر المحادثات هي النشاط الأكثر شيوعا بين المستخدمين العرب 50%، يليها قراءة المدونات التي ينشرها مستخدمون آخرون 18%، والسؤال الذي يُطرح ما هي نسبة هذه الاهتمامات لدى فئة الأطفال في الجزائر؟

4. انعكاسات الاستخدامات التكنولوجية على الطفل

إن الاقبال المتزايد على الوسائل التكنولوجية لدى الطفل والمراهق، كأداة ضرورية في الحياة مرده ما توفره من حاجات يسعى إلى تحقيقها هؤلاء، وذلك لكونها أداة متعددة الخدمات، فهي تعليمية وترفيهية واتصالية. إلا أن انعكاساتها على مستخدميها بما فيهم الطفل والمراهق يتراوح ما بين الايجاب والسلب، في مختلف المجالات بما فيها المجال الثقافي، وهو ما نذكره لاحقا:

*قمة "رواد التواصل الاجتماعي العربي". وسائل التواصل الاجتماعي في العالم العربي. تقرير 2015. TNS. الهيئة الدولية مختصة في دراسة التسويق وسبر الآراء.

1. 4 . الانعكاسات الإيجابية (مركز الدراسات الاستراتيجية، 2012)

✓ تساهم الوسائل التكنولوجية الحديثة في تطوير العملية التعليمية، حيث أنها تجعل عملية التعليم أكثر مشاركة، تساعد على شرح المفاهيم المعقدة وتنمي التفكير النقدي. فضلا أنها تعتبر أكثر الوسائل إقناعا للطفل، وذلك لما لها من رسومات وأصوات تجذب انتباه الطفل.

✓ كثيرا ما تعمل الأنترنت على دعم عملية استيعاب الطلاب لدروسهم في وقت أقل، لكونهاوسيلة لاكتساب المعلومات في المنزل دون أي عناء، من خلال مجموعة من مواقع ومنتديات الدراسة. إضافة إلى كونها مكانا لإيجاد الفيديوهات التي تسهل فهم الدروس وتدارك النقائص.

✓ تساهم ألعاب الفيديو على تطوير المهارات الحركية للطفل وذلك لأنها تساعد على تنمية مهارة التنسيق بين العين واليدين. كما تساعد هذه الألعاب التفاعلية على تشجيع الأطفال على التعاون والتناوب.

إن شغف الأطفال بالوسائل التكنولوجية يفسره تلك المتعة والراحة النفسية التي يجدونها في أشكال الترفيه التي تقدمها لهم أجهزة أي بود IPOD أو مشغلات الموسيقى والأغاني MP3 وألعاب الفيديو وألعاب الهاتف الذكي وألعاب الأنترنت. أكثر ما يجده الأطفال والمراهقين في هذه الوسائل متعة الترفيه لقضاء الوقت الحر أكثر من أي شيء آخر.

✓ تقوم العديد من الألعاب التفاعلية على تشجيع التفكير النقدي، مما يساعد على نمو الأطفال فكريا، وذلك لأنها ألعاب تتطلب استخدام المنطق والذاكرة وطرق حل المشكلات ومهارات التفكير النقدي.

✓ لقد توصل بعض الباحثين أن الانترنت يمكن اعتمادها كوسيلة علاجية للتقليل من خجل الأطفال وجعلهم أكثر تفاعلا مع الأخرين.

2. 4 . الانعكاسات السلبية

ونذكر أهمها فيما يلي:

✓ الادمان في استخدام الأنترنت، حيث يجعل الفرد يقضي أوقاتا أكثر مما يقضيه مع أسرته، فيهمل واجباته الأسرية والمدرسية. مدمن الأنترنت يعيش عالمه الواسع فقط من

خلال إبحاره الواسع عبر مواقع مختلفة، فكل علاقاته تكون عبر الانترنت، وهذا يوصله إلى الانطواء والعزلة وربما إلى الاغتراب.

✓ تعتبر الانترنت وسيلة بحث مثالية إلا أنها يمكن أن يستخدمها بعض التلاميذ لأغراض تسيئ في تحصيلهم الدراسي، كالغش أثناء الاختبار، أو النقل الحرفي للبحوث العلمية.

✓ من الناحية الصحية للأنترنت تأثيرات سلبية على الأطفال والشباب وحتى كبار السن في الجهاز العصبي كضعف الذاكرة والارهاق والصداع.

✓ إن المتتبع للألعاب الالكترونية يلاحظ أن الطابع الذي يغلب عليها هو العنف وهو ما ينعكس في الأجواء التي تعم في قاعات الألعاب أين تتعالى أصوات إطلاق النيران الوهمية وأصوات الأطفال وهم يحاولون القضاء على الهدف عن طريق المسدسات والصواريخ والمدافع الحاسوبية.

3. 4 . الانعكاسات الثقافية للاستخدامات التكنولوجية

ويقصد بهذه الانعكاسات تلك التأثيرات المختلفة، الإيجابية منها والسلبية، الناتجة عن استخدام الوسائل التكنولوجية على البنية الثقافية للطفل. وخاصة تأثيراتها على منظومة قيمه وما ينتج عنها من تصرفات وسلوكيات ينتهجها في حياته.

بات استخدام الأطفال والمراهقين للتكنولوجيا يتخذ مكانه في الحياة اليومية بشكل واسع النطاق، حيث لا يمكنهم الاستغناء عنها أو تجاهل دورها، كالحاسوب باستخداماته المتعددة والأنترنت وأسلوبه في الاتصال والمعلوماتية إلى جانب الهاتف النقال والذكي.

لقد وفرت هذه الوسائل والتقنيات للأطفال والمراهقين فرصة غير مسبوقة للتواصل والتعارف على أصدقاء ذو مختلف الثقافات، والتي تفتح لهم كما هائلا من المضامين التي تدخل في تربيته وتثقيفه وترفيهه، والتي راحت بشتى الوسائل تغري رغباته الاستهلاكية وتثير غرائزه ودوافعه باتجاهات متعددة وهو ما يفسر طبيعة انعكاساتها الثقافية لدى الأطفال. يأتي هذا من خلال جملة من الاستخدامات التكنولوجية التي يعرفها الأطفال والمراهقون أهمها الألعاب الالكترونية والابحار والبحث في شبكة الانترنت، وهو ما نستنتجه من القراءة السابقة فيما يلي:

✓ تعد الألعاب الالكترونية المعاصرة من أكثر المغريات التي يقدمها الحاسوب والهاتف الذكي وفق تقنيات عالية الجودة تجذب الأطفال إليها وتدفعهم إلى اللعب المتواصل دون مراعاة للوقت، فيصل غالبا إلى حد الادمان. وذلك لاعتمادها القوي على الصوت والصورة، فأصبحت الأسواق تعج بمختلف أنواع هذه الألعاب مما زاد **في نشر ثقافة الاستهلاك** لدى هذه الفئة الاجتماعية.

✓ رغم الايجابيات التي توفرها هذه الألعاب الالكترونية بالنسبة للأطفال من حيث تنشيط مجالات تفكيرهم وإثراء مخيلتهم وتدريب مهاراتهم المختلفة، إلا أنها لا تخلو من السلبيات التي تنعكس فيما تبثه من ممارسات يغلب عليها طابع العنف بكل انفعالاته وتفاعلاته. يأتي هذا ليؤكد أن هذه الألعاب قد أصبحت عاملا مهما **لإشاعة ثقافة العنف** في وسط الأطفال والمراهقين، من خلال تصرفاتهم مع أقرانهم وإخوانهم وحتى مع أنفسهم في مواقف تمثيلية مختلفة يقوم بها بعض الأطفال، وهو ما يزيد في تأكيد ثقافة العنف لدى هذه الفئة الاجتماعية.

✓ رغم الايجابيات التي توفرها شبكة الأنترنت للأطفال من حيث التحصيل الدراسي، لكونها وسيلة لاكتساب المعلومات والمعارف في وقت قصير وبدون عناء. فضلا أنها تساعد الأطفال أو التلاميذ على استدراك ما فاتهم من الدروس سواء بتصويرها بالهاتف الذكي أو بالبحث عن فيديوهات تساعد على فهمها، مما ساهم في بعث **ثقافة البحث العلمي**. مقابل هذه الثقافة التي يعرفها الأطفال بواسطة الابحار والبحث في شبكة الانترنت، يمارس آخرون جملة من الممارسات تدل على سوء استعمالهم للأنترنت تدعو في مجملها إلى **ثقافة الغش**. أي الغش الالكتروني الذي ينعكس في تصوير التلاميذ للدروس بواسطة الهواتف الذكية قصد الرجوع إليها أيام الامتحان، وذلك في مخالف الأطوار والمستويات التعليمية. فضلا عن تسرب أسئلة الامتحانات الرسمية التي يتم نشرها في مواقع التواصل الاجتماعي، وهو ما شهدته امتحانات الباكالوريا في مجتمعنا في السنوات الأخيرة.

– خاتمة

إن خلاصة هذه الانعكاسات تشير إلى أن ثقافة الطفل والمراهق قد انعكس عليها الطابع الرقمي، نظرا لتمكنهم في استخدام التطبيقات الرقمية مثلا (viber, Facebook...) وبالتالي قدرتهم على التواصل مع الآخرين عبر مواقع التواصل الاجتماعي والدخول إلى عالم التقنية وتكنولوجيا المعلومات، لأجل البحث عن المعلومة ولأجل التسلية والترفيه عن طريق الألعاب الالكترونية. وهم بذلك يتفننون في حضورهم الرقمي. يأتي هذا من خلال ما يتلقاه الطفل من الرسوم المتحركة وأفلام الكارتون فضلا عن ألعاب الفيديو والدردشة الالكترونية، بهدف الترفيه واستغلال الوقت الحر، ومن خلال ما يكتسبه من المعرفة عبر محركات البحث.

إن توجيه الطفل وارشاده في ظل استخداماته الرقمية أضحى اليوم أمر ضروري، ويظل كذلك طالما كانت انعكاساتها تحمل السلبيات والايجابيات. ونشير أن هذه الانشغالات تزداد كلما كانت إسهامات الأسرة وباقي المؤسسات الاجتماعية ضعيفة في توجيه الأطفال والمراهقين. فالتحصين الثقافي والقيمي المبني على التوجيه والإرشاد هو الأساس لضمان التفاعل الإيجابي مع هذه الوسائل التكنولوجية والرقمية وفق ما يضمن الاستفادة المعرفية والمهاراتية، بحيث لابد أن تكون مرافقة الوالدين دائمة عند استخدام الطفل والمراهق لهذه الوسائل. كما يجب أن تكون تدخلات المؤسسات العمومية حاضرة أمام المواقع التي مفادها تهديم عقول الأطفال، كما عليها أن تجتهد في استبدالها بأخرى تساعد على المعرفة الصحيحة والترفيه السليم.

والسؤال الذي يبقى مطروحا ما واقع هذه الاستخدامات والممارسات لدى الأطفال في المجتمع الجزائري؟ سؤال يمكن أن تجيب عنه دراسة ميدانية للموضوع، حيث نعتبر هذه الرؤية البحثية تمهيدا لدراسات حول ثقافة الأطفال في ظل التكنولوجيا الحديثة.

– قائمة المراجع

1. ابراهيم محمد عبد الرازق وآخرون. (2004). *ثقافة الطفل* (الإصدار ط.1). عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع.

2. السيد عبد العاطي السيد. (1990). *صراع الأجيال: دراسة في ثقافة الشباب*. الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية.

3. منجي المبروكي. (2011). الشباب وثقافة الاعلام الجديد تخمة الاستخدام وضبابية المقاصد. ورقة مقدمة إلى الندوة الدولية حول الشباب ثقافة. 11-12 أكتوبر 2010، المجتمع التونسي للعلوم والآداب والفنون. قرطاج: بيت الحكمة.

4. خالد مصطفى فهمي. (2007). *حقوق الطفل ومعاملته الجنائية في ضوء الاتفاقيات الدولية*. الاسكندرية: دار الجامعة الجديدة.

5. عبد الرزاق الدليمي. (نوفمبر, 2014). استخدمات الشباب الجامعي الأردني لمواقع التواصل الاجتماعي واشباعاتها. *مجلة علوم الانسان والمجتمع*(العدد 12).

6. ماجد محمد الزيودي. (2015). الانعكاسات التربوية لاستخدام الأطفال للألعاب الالكترونية كما يراها معلمو وأولياء أمور المدارس الابتدائية بالمدينة المنورة. *مجلة جامعة طيبة للعلوم التربوية، المجلد* 10(1).

7. محمد عباس ابراهيم. (2001). *الثقافات الفرعية: دراسة اثروبولوجية للجماعات النوبية بمدينة الاسكندرية*. قنال سويس: دار المعرفة الجامعية.

8. مركز الدراسات الاستراتيجية. (2012). أثر معطيات ومظاهر مجتمع المعرفة على الطفل صحيا واجتماعيا ونفسيا. (جامعة الملك عبد العزيز، المحرر) *نحو مجتمع المعرفة*.

9. مها حسين الشحروري. (2008). *الألعاب الالكترونية في عصر العولمة: ما لها وما عليها* (الإصدار ط.1). الأردن: دار المسيرة.

10. نايفة قطامي ومحمد برهوم. (1989). *طرق دراسة الطفل* (الإصدار ط.1). عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.

11. هادي نعمان الهيتي. (مارس, 1988). ثقافة الأطفال. *عالم المعرفة*. (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، المحرر) الكويت.

12. هشام احمد غراب. (2014). *الصحة النفسية للطفل*. بيروت: دتر الكتب العلمية.